رسالة مالكٍ

بسم اللهّ الرحمن الرحيم حدثنا أبو يوسف حدثنا يحي بن عبد اللهّ بن بكيرٍ قال: هذه رسالة مالك بن أنسٍ إلى اللّيث بن سعدٍ: سلامٌ عليك، فإنّي أحمد اللهّ إليك الّذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، عصمنا اللهّ وإيّاك بطاعته في السّرّ والعلانية، وعافانا وإيّاك من كلّ مكروهٍ:

كتبت إليك وأنا من قبلي من الولدان والأهل على ما تحبّ واللهّ محمودٌ.

جاءني كتابك تذكر من حالك ونعم اللهّ عليك الّذي أنا به مسرورٌ، وأسأل اللهّ أن يستمرّ علينا وعليك صالح ما أنعم به علينا وعليك وأن يجعلنا له شاكرين. وفهمت ما ذكرت في كتبٍ بعثت بها لأعرضها لك وأبعث بها إليك، فقد فعلت ذلك وغيّرت منها حتّى صحّ أمرها على ما تحبّ، وختمت على كلّ فنداقٍ منها بخاتمي ونقشه: حسبي اللهّ ونعم الوكيل.

وكان حبيبٌ إليّ حفظك وقضاء حاجتك وأنت لذلك أهلٌ، وصبرت لك نفسي في ساعاتٍ لم أكن أعرض فيها لأنّ الحجّ فيها فتأتيك مع الّذي جاءني بها حيث دفعتها إليه وبلغت من ذلك الّذي رأيت أنّه يلزمني في حقّك وحرمتك وقد نشطني ما استطلعت ممّا قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك، ورجوت لك أن يكون لها عندك موضعٌ، ولم يكن يمنعني من ذلك قبل اليوم ألا يكون رأيي لم يزل فيك جميلًا إلّا أنّك لم تكن تذاكرني شيئًا من هذا الأمر ولا تكتب فيه إليّ.

واعلم- رحمك اللهّ - أنّه بلغني أنّك تفتي بأشياء مخالفةٍ لما عليه جماعة الناس عندنا، وببلدنا الّذي نحن فيه، وأنت في أمانتك وفضلك، ومنزلتك من أهل بلدك، وحاجة من قبلك إليك، واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيقٌ بأن تخاف على نفسك، وتتّبع ما ترجو النّجاة باتّباعه، فإنّ اللهّ عزّ وجلّ يقول في كتابه: {والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسانٍ رضي اللهّ عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهار

خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} وقال اللهّ عزّ وجلّ: {الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هداهم اللهّ وأولئك هم أولوا الألباب}.

وإنّما النّاس تبعٌ لأهل المدينة: إليها كانت الهجرة، وبها تنزّل القرآن، وأحلّ الحلال وحرّم الحرام، إذ رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتّنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويبيّن لهم فيتّبعونه، حتّى توفّاه اللهّ، واختار له ما عنده، صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته، ثمّ قام من بعده أتبع النّاس له من أمّته، فما نزل بهم ممّا علموا أنفذوه وما لم يكن عندهم فيه علمٌ سألوا عنه، ثمّ أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك، في اجتهادهم، وحداثة عهدهم، فإن خالفهم مخالفٌ، أو قال امرؤٌ غيره ما [هو] أقوى منه وأولى، ترك قوله، وعمل بغيره.

ثمّ كان التّابعون من بعدهم يسلكون ذلك السّبيل ويتّبعون تلك السّنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرًا معمولًا به، لم أر لأحدٍ خلافه، للّذي في أيديهم من تلك الوراثة الّتي لا يجوز انتحالها ولا ادّعاؤها، ولو ذهب كلّ أهل الأمصار يقولون: هذا العمل ببلدنا، وهو الّذي مضى [عليه] من مضى منّا لم يكونوا فيه من ذلك على ثقةٍ، ولم يجز لهم من ذلك مثل الّذي جاز لهم.

فانظر- رحمك اللهّ - فيما كتبت إليك فيه لنفسك، واعلم أنّي أرجو ألا يكون دعاني إلى ما كتبت به إليك إلّا النّصيحة للهّ وحده والنّظر لك والضّنّ بك، فأنزل كتابي منك منزله، فإنّك إن تفعل تعلم أنّي لم آلك نصحًا، وفّقنا اللهّ وإيّاك لطاعته وطاعة رسوله في كلّ أمرٍ، وعلى كلّ حالٍ، والسّلام عليك ورحمة اللهّ.

وكتب يوم الأحد لسبعٍ مضين من صفرٍ.

رسالة اللّيث بن سعدٍ إلى مالك بن أنسٍ رحمهما اللهّ

حدثنا أبو يوسف حدثني يحي بن عبد اللهّ بن بكيرٍ المخزوميّ قال:

هذه رسالة اللّيث بن سعدٍ إلى مالك بن أنسٍ.

«سلامٌ عليك، فإنّي أحمد إليك اللهّ الّذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد– عافانا اللهّ وإيّاك، وأحسن لنا العاقبة في الدّنيا والآخرة – فقد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الّذي يسرّني، فأدام اللهّ ذلك لكم وأتمّه بالعون على شكره والزّيادة من إحسانه، وذكرت نظرك في الكتب الّتي بعثت بها إليك وإقامتك إيّاها وختمك عليها بخاتمك، وقد أتتنا فجزاك اللهّ عمّا قدّمت منها خيرًا، فإنّها كتبٌ انتهت إلينا عنك فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها، وذكرت أنّه قد أنشطك ما كتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنّصيحة، ورجوت أن يكون لها موضعٌ، وأنّه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلّا أن يكون رأيك فينا جميلًا، إلّا لأنّي لم أذاكرك مثل هذا، وأنّه بلغك أنّي أفتي بأشياء مخالفةً لما عليه جماعة النّاس عندكم، وإنّي يحقّ عليّ الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به، وأنّ النّاس تبعٌ لأهل المدينة [الّتي] إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن، وقد أصبت بالّذي كتبت به من ذلك إن شاء اللهّ، ووقع منّي بالموقع الّذي تحبّ، وما أعدّ أحدًا قد ينسب إليه العلم أكره لشواذّ الفتيا ولا أشدّ تفضيلًا لعلماء أهل المدينة الّذين مضوا ولا آخذ لفتياهم فيما اتّفقوا عليه منّي والحمد للهّ ربّ العالمين ولا شريك له. وأمّا ما ذكرت من مقام رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم بالمدينة ونزول القرآن [بها] عليه بين ظهري أصحابه وما علّمهم اللهّ منه وأنّ النّاس صاروا به تبعًا لهم فيه فكما ذكرت وأمّا ما ذكرت من قول اللهّ عزّ وجلّ: {والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسانٍ رضي اللهّ عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم} فإنّ كثيرًا من أولئك السّابقين الأوّلين خرجوا إلى الجهاد في سبيل اللهّ ابتغاء مرضاة اللهّ فجنّدوا الأجناد واجتمع إليهم

النّاس فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب اللهّ وسنّة نبيّهم ولم يكتموهم شيئًا علموه، وكان في كلّ جندٍ منهم طائفةٌ يعلّمون- للهّ - كتاب اللهّ وسنّة نبيّه ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسّره لهم القرآن والسنة، ويقوموهم عليه أبو بكرٍ وعمر وعثمان الّذين اختارهم المسلمون لأنفسهم، ولم يكن أولئك الثّلاثة مضيّعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدّين والحذر من الاختلاف بكتاب اللهّ وسنّة نبيّه صلّى اللهّ عليه وسلّم، فلم يتركوا أمرًا فسّره القرآن أو عمل به النّبيّ صلّى اللهّ عليه وسلّم أو ائتمروا فيه بعده إلّا أعلموهموه، فإذا جاء أمر عملوا به أصحاب رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم بمصر والشّام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان [و] لم يزالوا عليه حتّى قبضوا لم يأمروهم بغيره، فلا نراه يجوز للأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرًا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم حين ذهب العلماء وبقي منهم من لا يشبه من مضى، مع أنّ أصحاب رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم اختلفوا بعده في الفتيا في أشياء كثيرةٍ، ولولا أنّي قد عرفت أن قد علمتها لكتبت بها إليك، ثمّ اختلف التّابعون في أشياء بعد أصحاب رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه وسلّم سعيد بن المسيّب ونظراؤه أشدّ الاختلاف، ثمّ اختلف الّذين كانوا بعدهم فحضرتهم بالمدينة وغيرها ورايتهم يومئذٍ في الفتيا ابن شهابٍ وربيعة بن أبي عبد الرّحمن، فكان من خلاف ربيعة لبعض ما مضى ما عرفت وحضرت، وسمعت قولك فيه وقول ذوي الرّأي من أهل المدينة يحي بن سعيدٍ وعبيد اللهّ بن عمر وكثير بن فرقدٍ وغير كثيرٍ ممّن هو أسنّ منه حتّى اضطرك ما كرهت من ذلك إلى فراق مجلسه. وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد اللهّ بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك فكنتما لي موافقين فيما أنكرت، تكرهان منه ما أكره، ومع ذلك بحمد اللهّ عند ربيعة خيرٌ كثيرٌ، وعقلٌ أصيلٌ، ولسانٌ بليغٌ، وفضلٌ مستبينٌ، وطريقةٌ حسنةٌ في الإسلام، ومودّةٌ صادقةٌ لإخوانه عامّةً ولنا خاصّةً، رحمة اللهّ عليه وغفر له وجزاه بأحسن من عمله. وكان يكون من ابن شهابٍ اختلافٌ كثيرٌ إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا فربّما كتب إليه في الشّيء الواحد على فضل رأيه وعلمه = بثلاثة

أنواعٍ ينقض بعضها بعضًا، ولا يشعر بالّذي مضى من رأيه في ذلك، فهذا الّذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إيّاه.

وقد عرفت ممّا عبت إنكاري إيّاه أن يجمع أحدٌ من أجناد المسلمين بين الصّلاتين ليلة المطر، ومطر الشّام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلّا الله لم يجمع منهم إمامٌ قطّ في ليلة مطرٍ، وفيهم أبو عبيدة بن الجرّاح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبلٍ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبلٍ» . وقال: «يأتي معاذٌ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة». وشرحبيل بن حسنة وأبو الدرداء وبلال بن رباحٍ، وكان أبو ذرٍّ بمصر والزّبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاصٍ، وبحمص سبعون من أهل بدرٍ وبأجناد المسلمين كلّها والعراق ابن مسعودٍ وحذيفة بن اليمان وعمران بن الحصين، ونزلها عليّ بن أبي طالبٍ سنين بمن كان معه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قطّ.

ومن ذلك القضاء بشهادة الشّاهد ويمين صاحب الحقّ، وقد عرفت أنّه لم يزل يقضى بالمدينة [به]، ولم يقض به أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالشّام وبحمص ولا مصر ولا العراق، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الرّاشدون أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌّ، ثمّ [ولّي] عمر بن عبد العزيز فكان كما علمت في احياء السنن، وقطع اليد، والجدّ في إقامة الدّين، والإصابة في الرّأي، والعلم بما مضى من أمر الناس، فكتب إليه زريق بن الحكم: إنّك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الشّاهد الواحد ويمين صاحب الحقّ، وكتب إليه عمر بن عبد العزيز: إنّا كنّا نقضي بذلك بالمدينة، فوجدنا أهل الشّام على غير ذلك، فلا نقض إلّا بشهادة رجلين عدلين أو رجلٍ وامرأتين، ولم يجمع بين المغرب والعشاء قطّ ليلة المطر، والسّماء تسكب عليه في منزله الّذي كان فيه بخناصرة ساكنًا.

ومن ذلك أنّ أهل المدينة يقضون في صدقات النّساء أنّها متى شاءت أن تتكلّم في مؤخّر صداقها تكلّمت فدفع إليها، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشّام وأهل

مصر، ولم يقض أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعدهم لامرأةٍ بصداقها إلّا أن يفرّق بينهما موتٌ أو طلاقٌ فتقوم على حقّها.

ومن ذلك قولهم في الإيلاء أنّه لا يكون عليه طلاقٌ حتّى يوقف وإن مرّت الأربعة أشهرٍ، وقد حدّثني نافعٌ عن عبد اللهّ بن عمر- وعبد اللهّ بن عمر الّذي كان يروى عنه ذلك التّوقيف بعد الأشهر- أنّه كان يقول في الإيلاء الّذي ذكر اللهّ في كتابه: لا يحلّ للمولّي إذا بلغ الأجل إلّا أن يفيء كما أمره اللهّ أو يعزم الطّلاق. وأنتم تقولون: إن لبث بعد الأربعة أشهرٍ الّتي سمّي في كتابه ولم يوقف لم يكن عليه طلاقٌ، وقد بلغنا عن عثمان بن عفّان وزيد بن ثابتٍ وقبيصة بن ذؤيبٍ وأبي سلمة بن عبد الرّحمن بن عوفٍ أنّهم قالوا في الإيلاء: إذا مضت الأربعة أشهرٍ فهي تطليقة ثانية، وقال سعيد بن المسيّب وأبو بكر بن عبد الرّحمن بن هشامٍ وابن شهابٍ: إذا مضت الأربعة أشهرٍ فهي تطليقةٌ وله الرّجعة في العدّة.

ومن ذلك ان زيد بن ثابت كان كان يقول: إذا ملّك الرّجل امرأته أمره فاختارت زوجها فهي تطليقةٌ، وإن طلّقت نفسها ثلاثًا فهي تطليقةٌ، وقضى بذلك عبد الملك بن مروان، وكان ربيعة بن أبي عبد الرّحمن يقوله، وقد كاد النّاس يجتمعون على أنّها اختارت زوجها لم يكن فيه طلاقٌ، وإن اختارت نفسها واحدةً أو اثنتين كانت له عليها رجعةٌ، وإن طلّقت نفسها ثلاثًا بانت فيه، ولم تحلّ له حتّى تنكح زوجًا غيره فيدخل بها ثمّ يموت أو يطلّقها، إلّا أن يردّ عليها في مجلسه فيقول: انما ملكتك واحدة، فيستحلف ويخلّى بينه وبين امرأته.

ومن ذلك أنّ عبد اللهّ بن مسعودٍ كان يقول: أيّما رجل تزوج امة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إيّاها ثلاث تطليقاتٍ، وكان ربيعة يقول ذلك وإن تزوّجت المرأة الحرّة عبدًا فاشترته فمثل ذلك.

وقد بلغنا عنكم أشياء من الفتيا مستكرهًا، وقد كنت كتبت إليك في بعضها فلم تجبني في كتابي، فتخوّفت أن تكون استثقلت ذلك، فتركت الكتاب إليك في شيءٍ ممّا أنكرت وفيما أوردت فيه على رأيك، وذلك أنّه بلغني أنّك أمرت زفر بن عاصمٍ الهلاليّ- حين أراد أن يستسقي- أن يقدم الصلاة قبل الخطبة، فاعظمت ذلك، لان الخطبة والاستسقاء كهيئة يوم

الجمعة الا أن الامام إذا دنا فراغه من الخطبة حوّل وجهه إلى القبلة فدعا، وحوّل رداءه ثم نزل فصلى، [و] قد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزمٍ وغيرهما، فكلّهم يقدم الخطبة و الدعاء قبل الصّلاة، فأشهر النّاس فعل زفر بن عاصمٍ من ذلك واستنكروه.

ومن ذلك أنّه بلغني أنّك تقول في الخليطين في المال: أنّه لا تجب عليهما الصّدقة حتّى يكون لكلّ واحدٍ منهما ما تجب فيه الصّدقة، وفي كتاب عمر بن الخطّاب أنّه يجب عليهما الصّدقة ويتردّان بالسّويّة، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره، والّذي حدّثنا به يحيى بن سعيدٍ ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه فرحمه الله وغفر له وجعل الجنّة مصيره.

ومن ذلك أنّه بلغني أنّك تقول: إذا أفلس الرّجل وقد باعه رجلٌ سلعةً فتقاضى طائفةً من ثمنها أو أنفق المشتري طائفةً منها أنّه يأخذ ما وجد من متاعه، وكان النّاس على أنّ البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئًا أو أنفق المشتري منها شيئًا فليست بعينها.

ومن ذلك أنّك تذكر أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم لم يعط الزبير ابن العوّام إلّا لفرسٍ واحدٍ، والنّاس كلّهم يحدّثون أنّه أعطاه أربعة أسهمٍ بفرسين ومنعه الفرس الثّالث، والأمّة كلّهم «على هذا الحديث أهل الشّام وأهل مصر وأهل العراق وأهل إفريقيّة، لا يختلف فيه اثنان، فلم يكن ينبغي لك- وإن كنت سمعته من رجلٍ مرضيٍّ- أن تخالف الأمّة أجمعين.

وقد تركت أشياء كثيرةً من أشباه هذا، وأنا أحبّ توفيق الله إيّاك وطول بقائك، لما أرجو للنّاس في ذلك من المنفعة، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب ملك مع استئناسٍ بمكانك، وإن نأت الدّار، فهذه منزلتك عندي ورأيي فيه فاستيقنه، ولا تترك الكتاب إليّ بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك وحاجة أن كانت له أو لأحدٍ يوصل بك، فإنّي أسرّ بذلك، كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله، نسأل الله أن يرزقنا وإيّاكم شكر ما أولانا وتمام ما أنعم به علينا، والسّلام عليك ورحمة الله.